كتب جديدة

العرب والحياد

The Dynamics of Neutralism in the Arab World, ed. by Fayez A. Sayegh. Chandler, San Francisco, 1964

ثمة كتب تخلقها ظروف وثمة ظروف تخلق الحاجة الى كتب . ولكن اراهن ان بين الفئتين كتبا لا يعوزها الظرف لتكون مهمة في حد ذاتها من حيث طاقتها التنويرية الايضاحية .

وفي هذا التصنيف الاخير قد يدخل « القوى الدينامية للحياد في العالم العربي » .

وقد جاء هذا الكتاب وليد اول حلقة دراسية اعدها « مجلس دراسة الظواهر العالمية » الذي انشىء ، كما تشير مقدمة الكتاب ، للقيام بثلاث مهمات دراسية : اولا ، تشجيع تفهم القضايا المهمة بين الشعوب من مختلف الانظمة الاجتماعية والسياسية ؛ ثانيا ، توفير منفذ ادبي للمثقفين وللزعماء السياسيين ، وبخاصة في العالم غير الغربي ؛ وثالثا ، توفير ابحاث اساسية تتعلق بالقضايا ذات الاهمية الدولية العامة .

وفي سياق هذه الاهداف الثلاثة يصدر هذا الكتاب في وقته مناسبا للظاهرة السياسية الدولية التي تميز بها الربع الاخير من ١٩٦٤ (تاريخ صدور هذا الكتاب) : واعني بها المؤتمر الثاني والاكبر لدول عدم الانحياز في القاهرة .

وقد أسهم في هذا الكتاب ، بالاضافة الى فايز صايغ الذي قام بالعبء الدراسي الاكبر ، عدد من كبار الباحثين منهم : محمد علوان ، الذي كان موضوعه « الجزائر في الحرب الباردة » ؛ والمرحوم اميل البستاني ، الذي كان موضوعه « الحياد العربي والغرب » ؛ ومحمد الفرا ، وكان موضوعه « المجموعة الاسيوية الافريقية في عالم متغير » ؛ و سيد نوفل ، الامين العام المساعد للجامعة العربية ، وكان موضوعه « دور العالم العربي في المؤتمرات الافريقية الاسيوية من باندونغ الى بلغراد » ؛ وعدنان الباجه جي ، وكان موضوعه « عدم الانحياز في العالم العربي » ؛ وحسن صعب ، وكان موضوعه « فلسفة الحياد في العالم العربي » ؛ و جورج طعمه ، وزير الاقتصاد السوري السابق ، الذي كان موضوعه « سوريا والحياد » . اما الدكتور فايز صايغ ، الذي حرر هذا الكتاب اثناء وجوده في اكسفورد ، فهو غني عن التعريف ، فقد بات مرجع ثقة من مراجع الشؤون العربية بالنظر الى مؤلفاته العلمية الموضوعة العديدة ، ومنها سبعة كتب وضعها بالعربية ، بالاضافة الى عديد من المؤلفات بالانكليزية عن قضية اللاجئين وعن الوحدة العربية وعن مختلف الموضوعات ذات الحيوية العربية .

يتصدر الكتاب بحث مطول لفايز صايغ يحلل فيه نزعة الحياد والمذهب الحيادي ويشرّحها تشريحا موضوعيا ولكنه مثير من حيث استهلاله . فهو يركز على ناحية التشويش اللغوي في معنى تعابير «الحياد » و « عدم الانحياز » و « عدم الالتزام » ، وهي التعابير التي كانت تستعمل كمترادفات حتى ١٩٦١ حين تخلت دول الحياد رسميا عن سمة « المحايدة » لمصلحة سمة « غير الملتزمة » و « غير المنحازة » .

وقد اعطى المؤلف صورة قياسية للتخبط في استخدام التعابير ، وكان ذلك اثناء اجتماع اللجنة التحضيرية لمؤتمر باندونغ في القاهرة عام ١٩٦١ . فقد استخدم بلاغ اللجنة كلمة « الاقطار غير الملتزمة » ، واكد تعلق دول اللجنة التحضيرية بسياسة عدم الالتزام ، ثم تحدث عن توسيع منطقة

عدم الالتزام كغرض عام مشترك لها . ولما عقد مؤتمر بلغراد في اول ايلول (سبتمبر) ١٩٦١ عمّد الزعماء المؤتمرون مؤتمرهم باسم « مؤتمر عدم الانحياز » ، محلين هذا التعبير محل تعبير « عدم الالتزام » في جميع الوثائق الرسمية للمؤتمر . فكان مؤتمر بلغراد والحالة هذه مقبرة الاستخدام الرسمي لتعبير «الحياد » وبداية اعتماد تعبير « عدم الانحياز » بديلا عنه .

قد لا يستطيع الذهن العربي ان يستوعب الفروق المعنوية في تلك التعابير التي تبدو له من المترادفات . ولذا فان فايز صايغ يمد القارىء الغربي ، كما يمد قارىء الانكليزية العربي ، بالمبررات اللغوية لهذا الاستبدال ، وذلك بالنظر لما تنطوي عليه كلمة « الحياد » و«المحايد» من مضامين غير ملائمة .

فمعنى العنصر المحايد في الكيمياء هو العنصر الذي لا يعطي تفاعلات حمضية او قلوية ، وفي الكهرباء والمغناطيس هو العنصر الذي ليس سلبيا ولا ايجابيا والذي ليس مشحونا وليس مكهربا وليس ممغنطا ، وفي علم البصريات هو العنصر الذي يخلو من ظاهرة الاستقطاب الضوئي ، وفي الميكانيك يشير المعنى الى حالة الخمود وانقطاع الاتصال ، وفي علم وظائف الاحياء يعني العنصر اللاجنسي والعديم الجنس كما يعني العنصر الذي يفتقر الى اجهزة جنسية او العنصر الذي يحتوي على اجهزة جنسية متأخرة النمو ، كما يعني العقيم والمخصي ، اما في اللغة فيعني الفعل الناقص العديم المفعول .

وعلى هذا فقد اقتضى الامر ايجاد مخرج لغوي من مثل هذه الورطة المعنوية . ويستعرض فايز صايغ بعد ذلك طبيعة منشأ وانواع النزعة الحيادية ، مرجعا مناهضة المحايدين لزجهم في الحرب الباردة الى معطيين يسلم بهما كل دعاة النزعة الحيادية وابطالها ، وهما : اولا ، ان الحرب الباردة ليست الحقيقة العليا ، ناهيك عن كونها الحقيقة الوحيدة المهمة في الحياة الدولية المعاصرة . ولكن ذلك لا ينفي قبول واقع ان القضايا موضع النزاع بين الشرق والغرب هي مهمة ، وان نتيجة النزاع بين النظلمين تمس سلام العالم وأمن شعوبه ، ولذا فان المحايدين يعارضون في ان تعم عداوات الحرب الباردة العالم . ثانيا ، ان عديدا من مناطق العالم ينطوي على مشكلات خطيرة ذات مدى قومي او اقليمي مشفوعة بمهمات مستفزة تقوم بجوار مشكلة الحرب الباردة وبالاستقلال عنها . ومن اهم هذه المشكلات القومية والدولية المحصورة ، هناك مشكلة فلسطين وكشمير وانغولا والتمييز العرقي . وقد رافق بعضها الحرب الباردة في منشئه ، ولكن بعضها لم يستق جذوره من الحرب الباردة . وبالتالي فان هذه المشكلات ليست مظاهر من النزاع بين الشرق والغرب .

ولا ينسى المؤلف في سياق ذلك الاشارة الى المشكلات التي يواجهها العديد من الامم ، المتعلقة بيقظتها او تحررها الحديث : واهمها مشكلة الانماء الاقتصادي ثم مسألة التحول الثوري في مؤسساتها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية .

واذا كانت مضاعفات الحرب الباردة هي التي شددت على الاهمية الدولية لظاهرة الحياد فان هذا الوضع يثير عددا من الاسئلة عن موقف دول الحياد من الحرب الباردة ، وعن سبب احجامها عن خوضها ، وعن كيفية تعبيرها عن موقفها حيالها . وهذا مما يؤدي الى ايجاد تصنيفات لانواع الدول المحايدة من حيث علاقتها بالحرب الباردة ، ومن حيث دوافعها وحوافز معارضتها للحرب الباردة ، ومن حيث اشكال حيادها (الحياد السلبي والايجابي والمجرد والتبشيري) .

وقد قدم الباحث بالفعل تصنيفا موضوعيا مطولا ومبررا لدول الحياد ، مشفوعا بخرائط بيانية مدعومة بالتواريخ والارقام ، مشددا على تطور معنى عدم الانحياز في العالم العربي — حيث اصبح ، كما اشار المؤلف في احد هوامشه ، « عدم الانحياز » كناية عن الاستقلال حتى ان الحكومة اللبنانية قد شعرت بالحرج لعدم دعوتها الى مؤتمر بلغراد فسعت الى دعوة توجه اليها ونالت هذه الدعوة .

ولم ينس المؤلف ان يوضح بان انشغال دول عدم الانحياز بمسألة تصفية الاستعمار لم يكن من قبيل المصادفة ، نظرا لان نضال الشعوب المحكومة ضد الاستعمار ، ونظرا لان مقاومة الدول المتحررة للانحياز في الحرب الباردة ، هما في الواقع تعبيران فطريان عن توق واحد ووحيد الى تقرير المصير

والاستقلال . ويخلص المؤلف من ذلك الى التقرير بان « صوت عدم الانحياز هو صوت القومية في عالم منتصف القرن العشرين . واذا كانت الحرب الباردة تمثل الصراع بين الشطرين الشرقي والغربي من النصف الشمالي للكرة الارضية ، فان القومية ، مشفوعة بعدم الانحياز الحيادي الطبيعي ، تمثل الشعوب المتأخرة النمو والمحكومة سابقا في النصف الجنوبي من الكرة الارضية . ولقد يبدو النزال في يومنا هذا بين الشرق والغرب في اعين مؤرخي المستقبل بمثابة ملحمة عابرة تقاس بالنزالات الكبرى التقليدية بين الشمال والجنوب . اما توق انصار اي من الكتلتين الشماليتين لتطعيم حياة النصف الجنوبي المستيقظ بعداواتهم فانه قد يبدو عرضا ينكشف عن رغبة في فرض رعوية متعالية وقحة » .

واخيرا لا ينسى المؤلف دور الاحلاف ومساعي فرضها في اثارة مخاوف الدول المتحررة حديثا وفي دفعها الى تكتل غير ملتزم على صعيد الحياد وعدم الالتزام وعدم الانحياز ، وذلك ضمن بحث تاريخي عن تطور الاحلاف ومضاعفاتها وتجارب الدول المقاومة لها .

ولما كان للجمهورية العربية المتحدة دورها المهم في اشاعة فكرة الحياد وعدم الالتزام في العالم العربي ، فقد خص فايز صايغ الكتاب يبحث لاحق عن مذهب الحياد في الجمهورية العربية المتحدة ، باعتبار ان مصر (وربما سوريا في الوقت ذاته) كانت اول دولة عربية في الشرق الاوسط تصوغ وتتبع سياسة الحياد . وفي هذا فان فايز صايغ لا ينسى ان يعنى بالسياق القومي الذي نشأت فيه سياسة الحياد ، وبالعملية التطورية التي تولد الحياد عبرها ، وذلك كعاملين جوهريين يجب على المتتبع ان يوليها الدراسة والاهتمام .

وبالطبع فان فايز صايغ يشدد على الحافز الفلسطيني في تكوين وتطوير النزعة الحيادية ، بالاستقاء من المضامين والمفاهيم التي استنتجها العرب من علاقة الغرب والاستعمار باسرائيل . فيتابع تطور سياسة الحياد من مرحلة الحياد السلبي (١٩٥١ - ١٩٥٥) ، مرحلة الصراع ضد الاحلاف ومن اجل الجلاء وتأمين التمويل لسد اسوان كقاعدة للانماء ؛ الى مرحلة الحياد الايجابي (١٩٥٥ - ١٩٥٩) ، وهي المرحلة التي بدأت باعلان صفقة مقايضة القطن المصري بالاسلحة التشيكية وما تبع ذلك من توتر واصطدامات على الحدود المصرية الاسرائيلية وما لحق ذلك من حرب سيناء التي ادت الى انقسام نسبي في موقف امريكا من جهة وفرنسا وبريطانيا من جهة اخرى ؛ ومن ثم الى استقرار سياسة الحياد الايجابي كسياسة ثابتة متطورة بدأت سنة ١٩٥٩ فترة جديدة من حياتها يدعوها المؤلف باسم « مرحلة الحياد التبشيري » الذي يستقي بعض جذوره الاولى من مشاركة مصر الناشطة في مؤتمر باندونغ ومن توثق علاقاتها مع دول الحياد ، مما ادى الى تطوير سياسة الحياد الى سياسة عدم الانحياز كما جرى في مؤتمر بلغراد .

لعل هذا الكتاب ، الذي يأتي في اوانه ليلقي نورا موضوعيا علميا على كثير من المفاهيم والمعطيات السياسية الفكرية التي اصبحت شطرا جوهريا من الفكر السياسي في العالم العربي لا بل في العالم الاسيوي الافريقي عامة ، يحتاج الى ترجمة الى العربية التي تفتقر مكتبتها السياسية الى ابحاث كهذه.

مروان الجابري

الايديولوجية الانقلابية

بقلم نديم البيطار . المؤسسة الاهلية ، بيروت ، ١٩٦٤

بين الثورة والبناء هناك مرحلة لا بد من عبورها والا لكانت الثورة فوضى ولما كان سبيل الى البناء . ومن صفات هذه المرحلة انها تتركز فيها جميع الطاقات الفردية والاجتماعية وتنصهر انصهارا كليا . وهي مرحلة شاقة الى جانب انها انتقالية اي موقتة . انها بالنسبة للحياة الاجتماعية كنسبة الشك